دفاتر التاريخ

مدخل لدراسة

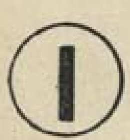
العنف الطائفي الجماعي في لبنان

١٨٤٠ - ١٨٦٠

١٩٥٨

١٩٧٥ - ١٩٧٧

اعداد
مركز الدراسات والابحاث حول العالم العربي





دار المصير
للطباعة والنشر

دفاتر التاريخ

دفاتر التاريخ

مدخل لدراسة

العنف الطائفي الجماعي في لبنان

١٨٤٠ - ١٨٦٠
١٩٥٨
١٩٧٥ - ١٩٧٧

اعداد
مركز الدراسات والابحاث حول العالم العربي



بيروت ـ تشرين الاول ١٩٧٩

الاهداء

الى كل الشرفاء الذين لم تلوثهم جراثيم الطائفية في لبنان

دار المصير



مقدمة

سادت ، خلال فترة طويلة سابقة في لبنـــان وبقية الدول العربية ، الدراسات النظرية حول المسألة الطائفية (١) ، وهي من ابرز المسـائل التاريخية التي شكلت ولا

تزال تشكل مع مسألة الاقليات عقبة اضافية في وجه بناء «الدولة ـ الوطنية ـ القومية» المستندة الى وحدة الشعب وليس الى وحدة التعايش القبلي او الديني او المذهبي ٠

انطلاقا من هذا الواقع التاريخي الذي هو ظاهرة حديثة العهد في التاريخ العربي المعاصر (بداية القرن التاسع عشر) ، يمكن ان نمســك بطرف الخيط المؤدي فعلا الى البحث السليم في أسس الوحدة العربية الحقيقية القائمة على وحدة الشعوب العربيـة كشعوب ، هذا الخيط هو اعـادة النظر ـ من خلال النقـد والنقض ـ في بنية هذه «الكيانات السياسية» وتركيبتها التي ترتكـز على أسس بعيدة كل البعد عن السياسة بمفهومها العلمي ، أي وحدة المصالح والمصير ٠

تحتل المسألة الطائفية ، خصوصا في دول المشرق العربي ، حيزا مهما في هـذا المجال ، ان في الواقع التاريخي او في الواقـع الراهن وحتى في الواقع المستقبلي ٠ من هنا فان دراستنا لتجربة العنف الطائفي الجماعي في لبنـان خلال المفاصل الزمنية التاريخية الثلاث ١٨٤٠ ـ ١٨٦٠ و ١٩٥٨ و ١٩٧٥ ـ أوائل ١٩٧٧، ليست الا نموذجا ساطعا لتجربة «كيان سياسي» عربي ما زال ، منذ ١٤٠ عامـــا ، وبفعل استناده الى اساس بنية غير سياسية ، يتمزق داخليا ويساهم في تمزيق محيطـــه العربي القريب والبعيد على السواء ٠ والخطورة في الامر هنا هو ان التجربة اللبنانية المديدة هـذه بدأت تتحول ، وبوتيرة متسارعة مقلقة ، الى «سيناريو حي» لتمزيق «كيانات سياسية» ودول عربية اخرى باللجوء الى جوهر الاستراتيجية والتكتيكـات التي اثبتت نجاحها في لبنان ٠

كلمة أخيرة لا بد منها وهي اننا ، في هذا الميـدان الفكري البكر الذي نخوض غماره ، لا نطمح الى تثبيت استنتاجات نهائية او الدفـاع عن طروحات مسبقة ، بقدر ما نحاول طرح اسئلة للنقاش الموضوعي العلمي ٠

بيروت ـ اواسط ايلول ١٩٧٩

الفصل الأول :

١٨٤٠ - ١٨٤١ ؛ بداية تفجر العنف الطائفي الجماعي في جبل لبنان

يبرز العنف الطائفي الجماعي في ابرز تجلياته خـــلال فترات التأزم العام في البلاد . وعلى اساس هذا التحديد كان تركيزنا على احـداث سنوات ١٨٤٠ - ١٨٦٠ و ١٩٥٨ و ١٩٧٥ - اوائل ١٩٧٧ .

اخترنا فترة ١٨٤٠ - ١٨٤١ كنقطة انطلاق لدراستنا العنف الطائفي الجماعي في جبل لبنان قديما، ولبنان حديثا، بسبب انه منذ ذلك التاريخ حصل اول صدام طائفي جماعي عرفته المنطقة ، وكان له تاثيرات سياسية عـامة ما زالت تسحب نتائجها حتى وقتنا الراهن . (٢) .

ويبدو انه حول هذه المسالة بالذات ليس هناك اجمـــاع في اوساط المؤرخين والباحثين عموما . فالكاتب سليمان تقي الدين في كتابه « التطـور التاريخي للمشكلة اللبنانية ١٩٢٠ - ١٩٧٠ » (٣) يعتبر ان « مقدمات الحرب الاهلية » الراهنة في لبنان

تعود الى العام ١٩٢٠ وليس الى عامي ١٨٤٠ - ١٨٤١ .

فهو يقول في مدخل كتابه :

« لماذا نبدأ بالعام ١٩٢٠ في محاولتنا رصد وتتبـــع التطور الاجتماعي والسياسي للبنان بوصفه «مقدمات الحرب الاهلية» عامي (١٩٧٥-١٩٧٦)؟ ما الفائدة من العودة نصف قرن الى الوراء ؟ ولـماذا سنة ١٩٢٠ بالذات وليس عام ١٨٤٠ - ١٨٤١ عام الحـرب الاهلية الاولى في جبل لبنان وتأسيس قائمقاميتي الدروز (الجنوبية) والنصارى (الشمالية) عام١٨٤٥؟

او عام ١٨٦٠ ونشوء الصيغة الاولى للوطن القومي المسيحي - الفكرة التي نشأت في الاربعينات - ذي الاستقلالية المضمونة باتفاق الدول العظمى الست في بروتوكول ١٨٦١ المعدل عام ١٨٦٤، الذي كرس في مجلس ادارة حاكمية متصرفية الجبل التمثيل النسبي الطائفي والغلبة المارونية ؟

« لماذا لا نعود الى عهد الحركات في منتصف القرن التاسع عشر وظهور الطائفية السياسية ، او ما اصطلح على تسميته «أصول لبنان الطائفي» او «جذور المسألة الطائفية» ؟

والحقيقة ان حيال المسألة الطائفية يستطيع المرء ان يعود بالتاريخ الى «فينيقيا» او الى «الفتح العربي» كما الى منتصف القرن التاسع عشر في تتبع ظاهرة التمزق اللبناني في التاريخ تبعا للحدود التي يرسمها المرء سلفا للبنان. لكن الطائفية السياسية بالتأكيد مرتبطة بقيام مجتمع الطوائف في كيان الامارة اللبنانية المعنية والشهابية ، هذا الكيان شبه المستقل ، الذي تولدت عنه الحروب الاهلية الطائفية في منتصف القرن التاسع عشر (١٨٤١ - ١٨٦٠) .

« ولكن بالرغم من تأكيدنا على ان اصول لبنان الطائفي تعود الى تلك الفترة من تاريخ لبنان ، الا اننا سنعتمد عام ١٩٢٠ مبتدأ هذه الدراسة » (ص ٩ - ١٠) - (٤) .

وكما جاء في النص فان الكاتب يقر ضمنا بضرورة العودة الى سنوات ١٨٤٠ - ١٨٦٠ لدراسة «أصول لبنان الطائفي» ، ويؤكد هذا الاقرار مرة ثانية عندما يكتب في موضع آخر : « ... ان كيان لبنان الكبير يحمل ارث الحروب الاهلية في منتصف القرن التاسع عشر ، ويحمل الارث التاريخي الابعد حتى من الفتح الاسلامي في ما نسميه حالة التمزق التشتت ، بل الاحرى حالة عدم الوحدة والانصهار ، حالة عدم التجانس ، حالة التنافر والصراع » . (ص ١١) .

مهما يكن من أمر ، نعتقد ان الاشكالية هنا تتلخص في النقطة الاتية : هل يصح علميا واكاديميا دراسة الظاهرة الطائفية في «جبل لبنان» اواسط القرن التاسع عشر بالمقارنة مع الظاهرة الطائفية في «لبنان الكبير» منذ ١٩٢٠ وحتى اليوم ، علما ان الكيان الحقوقي والجغرافي والسياسي نفسه للمنطقة ، موضع البحث ، طرأ عليه تبدل ملموس ؟

من جهتنا لا نتردد في القول بأن دراستنا لمسألة تجسيد الطائفية في لبنان تبدأ منذ اليوم الذي تجسدت فيه هذه الطائفية في ممارسات عنف جماعية غريزية ، غير مقيدين بالاشكال الدستورية والقانونية السياسية التي احتوت في اطارها الكيان اللبناني منذ اعلان «القائمقاميتين» (١٨٤٢ - ١٨٤٣) وحتى اعلان «دولة لبنان الكبير» (١٩٢٠) و «الجمهورية اللبنانية» (١٩٤٦) مرورا باعلان نظام «المتصرفية» (١٨٦١) . فالاستمرارية هنا، بنظرنا ، ليست جغرافية او حقوقية بقدر ما هي حضارية ومجتمعية. ربما كان من الافضل ، في خصوص هذه النقطة بالذات ، ان نطرح السؤال الاتي : هل كان العنف الطائفي الجماعي في جبل لبنان نتيجة ترسخ المؤسسات الطائفية المسيطرة ام سببا في ترسيخها ؟

ومن الملاحظ ان فترة حصول اول صدام طائفي جماعي في جبل لبنان كانت في

الواقع فترة انتقالية تميزت بثلاثة عوامل محورية كانت تعود للظهور ، في شكل او في آخر ، كلما أطل شبح الصدام الطائفي الجماعي برأسه وانيابه على الساحة اللبنانية (خصوصا في اعوام ١٩٥٨ و ١٩٧٥ وما بعد ذلك ٠٠٠) :

١) **العامل المحوري الاول :** تزايد وتيرة الحركات المطلبية والشعبية في الداخل وفي المحيط العربي المجاور ، بعيدا عن الاجواء الطائفية الدفينة والمكبوتة في هذه الصورة او تلك ٠

وفي هذا الصدد يشير الدكتور عبدالله حنا في كتابه «القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان ١٨٢٠-١٩٢٠» (٥) الى « ٠٠٠ ان عددا من الانتفاضات

> الفلاحية اندلعت في الريف العربي «العثماني» من شماله الى جنوبه ٠ ولكن اخبار معظم هذه الانتفاضات لا تزال في طي الكتمان ، يحتاج البحث عنها وكشف احداثها الى جهد الدولة والعمل المنظم والالتزام باهداف الجماهير العربية الكادحة ضد مستثمريها ٠ ومع ان بعضا من هذه الانتفاضات وصلت اصداؤها الينا ، الا ان هذه الاصداء لا تزال غامضة مشوشة ناقصة ، نتيجة اهمال المؤرخين غير الاشتراكيين لهذه الاحداث او تحريفهم لها ٠٠٠ » (ص ١٦١) ٠

من هذه الانتفاضات والحركات نذكر :

- انتفاضة جبل عامل ١٧٨٠ ٠
- « انتفاضات الفلاحين العلويين » ١٨٠٦/١٨١١/١٨١٥ ٠
- « انتفاضة بورجوازية دمشق التجارية » ١٨٣١ ٠
- « انتفاضة الفلاحين العلويين » ١٨٤٤ ٠
- « انتفاضة الفلاحين الدروز في جبل العرب » ١٨٥١ ٠
- تمرد زحلة وغزير ضد الاقطاع المحلي ١٨٥٧ ٠
- « عامية الفلاحين في جبل العرب » ١٨٨٥ ٠٠٠

كما يتحدث الدكتور عبد العزيز محمد عوض في كتابه «الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ - ١٩١٤» (٦) عن « ثورات الدروز في بلاد الشام ضد الحكم العثماني من العام ١٨٥١ وحتى الثورة الاخيرة في العهد العثماني » التي اخمدت في العام ١٩١٠ ٠ وكان الباعث الرئيسي على هذه الانتفاضات هو باعث اقتصادي واجتماعي تمثل في رفضهم دفع الضرائب المترتبة عليهم ٠ ويضيف الدكتور عوض على هذا الباعث ما اسماه بمحاولة الدروز « الاستقلال عن الدولة وبسط السيطرة الدرزية على لواء حوران » (ص ٢٩٣) وذلك من غير ان يثبت قوله هذا في هذا المجال ٠

ويمكن تعميم الباعث الرئيسي لانتفاضة الدروز (أي رفضهم دفع الضرائب خصوصا) على انتفاضات « عشائر وبدو الكرك » (ص ٢٩٤) وانتفاضة «النصيريين» (ص ٢٩٤ - ٢٩٧) ٠

ونتساءل: الا نتجنى على التاريخ الحقيقي لشعوب هذه المنطقة اذا درسنا احداث

اواسط القرن التاسع عشر في جبل لبنان بمعزل عن محيطه العربي ، خصوصا وان المجازر الطائفية مثلا لم تقتصر على مناطق جبل لبنان وضواحيها بل امتدت خارجه حتى وصلت الى دمشق ايضا ؟

ثم، اليس من عدم العلمية والموضوعية في شيء توجيه الانظار فقط الى «مجازر» اواسط القرن التاسع عشر وتجاهل المد المطلبي العارم للفلاحين في لبنان وسوريا ، وربما فلسطين والعراق ، خلال اكثر من مئة سنة ؟

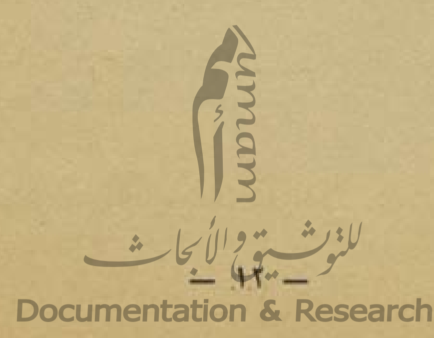
واخيرا، هل من «الطبيعي» أن تفرخ شعوب المنطقة لوحدها حروبا طائفية مذهبية او دينية وهي التي تعمدت وحدتها بانتفاضات وثورات اجتماعية وسياسية قبل وبعد ١٨٤٠ــ١٨٦٠، بل وخلال هذه الفترة نفسها، كثورة طانيوس شاهين في العام ١٨٥٨.

٢) **العامل المحوري الثاني : تزعزع مواقع الطبقة الحاكمة او التحالف الطبقي الحاكم** · وهذه المسألة هي من المسائل القليلة التي يتفق حولها المؤرخون المنصفون من كل الاتجاهات الفكرية والسياسية ، اذ ان نظام القائمقاميتين كان في الواقع محاولة لاعادة النفوذ الاقطاعي على البلاد والعباد ، بل كان محاولة لتثبيته من جديد كنظام سياسي ، بعدما تضعضعت جذور سيطرة الاقطاعيين (والعهد الشهابي باكمله) خلال اعوام ١٨٤١ ــ ١٨٤٥ ·

فهل صدفة ان يتم «تحويل» الانتفاضات المطلبية والاجتماعية بـ «قدرة قادر» الى حركات طائفية في هذه الفترة الانتقالية بالذات ؟

٣) **العامل المحوري الثالث : ارتباط الاوضاع السياسية في جبل لبنان ارتباطا عضويا باوضاع المنطقة يومها**، مما جعل «القضية اللبنانية» جزءا مما سمي بـ «المسألة الشرقية» · هنا أيضا يمكن ان نعدد الكثير من الاستشهدات والوقائع ، على رغم عدم اكتمال الصورة بعد نظرا لعدم الافراج عن العديد من الوثائق المتعلقة باحداث هذه المرحلة التاريخية ، أو لعدم نشر وتعميم وجمع الوثائق المبعثرة في اكثر من قبو ودهليز ومكتبة خاصة وعامة · (٧) ·

ربما كانت هذه العوامل المحورية الثلاث ، بجوهرها ، هي « العنصر الثابت » في كل من المفاصل الزمنية التاريخية ، موضوع هذه الدراسة ·



الفصل الثاني :

اشكالية نعت احداث ١٨٤٠ — ١٨٦٠

من المسائل المنهجية التي يجب أن نعيرها الاهتمام الذي تستحقه ، مسألة نعت الحدث نعتا يعبر فعلا عن طبيعته الحقيقية ، مما يضعه في اطاره التاريخي والتحليلي الصحيح (٨) ٠

وتكتسب هذه المسألة كل حيويتها عند مقاربتنا لاحداث ١٨٤٠ ـ ١٨٦٠ حيث نجد ليس فقط اختلاف المؤرخين والباحثين والرواة في تسميتها ولكن أيضا تناقضهم الذي يدل ، مرة أخرى ، على عدم فهم حقيقة هذه الاحداث من كـل اوجهها ٠ وهذه بعض النماذج المعبرة (٩) :

المعلم بطرس البستاني كتب في جريدته «نفيـر سورية» (عدد ١/١١/١٨٦٠) : «اشر ما يوجد تحت قبة الفلك الحروب ،واشر الحـروب واقبحها واشنعها الحروب الاهلية ٠٠٠ ومن اشر الحروب الاهلية ، الحرب التي اضرمت نارها ورشقت سهامها هذه السنة فعطلت هذا المقدار من المصالح والصوالح الدينية والادبية والمدنية وكلفت البلاد والعالم اجمع هذا المقدار من الاثقال والخسائر والمصاريف والمخاطر٠٠٠» (١٠)٠
شهادة شاهد عيان من رواة الدروز ، وهو حسين غضبان ابو شقراء (١١) الذي ركز على نعت هذه الاحداث بـ «الحركات» واليهـا استند الدكتور ادمون رباط (١٢) للحديث عن «الحركة الاولى» (١٨٤١) و «الحركة الثانية» (١٨٤٥) و «الحركة الثالثة» (١٨٦٠) ٠ ويبدو ان تعبير «الحركات» له معنى سياسي خاص مختلف عما هو متداول اليوم ، مما يستدعي تدقيقا خاصا به ٠

بولس نجيم (او «جوبلان» حسب اسمه المستعار) ـ (١٣) ـ يتكلم ، بالنسبة الى احداث ١٨٤١ ، عن « الحرب المرعبة ٠٠٠ التي اثارها الدروز في الجبل » ٠

رستم باز في مذكراته (١٤) كتب : « ٠٠٠ في سنة ١٨٤١ حدث شـر بين اهالي الدير (دير القمر) واهالي بعقلين » (ص ٦٠) ٠

الدكتور فيليب حتي يخصص فقط نصف صفحة من كتابه «لبنان في التاريخ»(١٥)، وهي الصفحة ٥٣٠ للحديث عن ثورة طانيوس شاهين (١٨٥٨) ، وذلك من اصل ١١ صفحة (من الصفحة ٥٢٥ الى الصفحة ٥٣٦) مكرسة لاحداث ١٨٤٠ ـ ١٨٦٠ ٠ وهو وصف احداث هذه المرحلة بـ «فترة الحروب الاهلية» كما تحدث عن « فتنة ١٨٦٠ » و «مذابح الستين» و «حركة الستين ٠٠٠ كما تعرفها العامة» ٠ ثم يضيف من غير تعليق او تفصيل : « ٠٠٠ بل كان هنالك ما يدعو الى الاعتقاد بأنها كانت فتنة مدبرة » (ص ٥٣٠) ٠

الدكتور كمال سليمان الصليبي في كتابه «تاريخ لبنان الحديث» (١٦) يتحدث عن «حركة تمرد» (ص ٧١) و «ثورة» (ص ٧٨) ١٨٤٠ ، وعن «اضطرابات ١٨٤٠ـ١٨٤١» (ص ١٠١) ، ثم عن «اعوام الفتنة ١٨٥٨ ـ ١٨٦٠» (ص ١١٤) و «الحرب الاهلية في لبنان ١٨٦٠» (ص ١٤٣) و «مذابح ١٨٦٠» (ص ١٩٥) ، طبعا مع الاشارة الى «ثورة الفلاحين في كسروان في ١٨٥٨» (ص ١١٥) ، من غير ان يزيل اللبس حول موقع هذه الثورة في «فتنة» اعوام ١٨٥٨ ـ ١٨٦٠ ٠

اما المستشرقون الغربيون والشرقيون فانهم اضافوا مساهمات نعتقد انها تشكل نقطة انطلاق صلبة في سبيل تحديد طبيعة احداث ١٨٤٠ـ١٨٦٠ بدقة ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

ـ وليام بولك (١٧) الذي تحدث عن «الحرب الاهلية المكبوتة» قبل ١٨٦٠ ٠

ـ لوتسكي (١٨) الذي اوضح ان «اعمال الابادة المتبادلة» استمرت ستة اسابيع خلال العام ١٨٤١ ووصف أحداث ايار ١٨٤٥ بأنها « المذبحة » و « الحرب الاهلية المنظمة » ٠

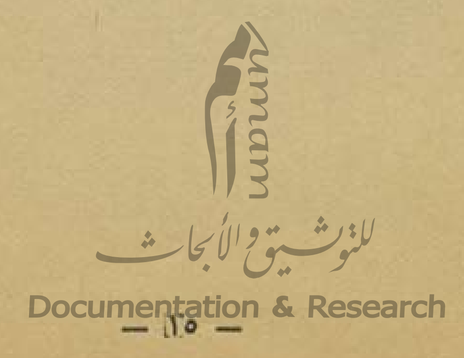
ـ أما سميليا نسكايا (١٩) فيبدو انها كانت اكثر دقة في تحليلها ، اذ تحدثت عن «الحركة المناوئة للاقطاعية» و «حركة الفلاحين» ، وخصوصا ما وصفته بـ «الصدام الماروني ـ الدرزي ٠٠٠ (الذي كان) ٠٠٠ مظهرا من مظاهر النضال الذي بدأه الفلاحون العام ١٨٤٠ ضد العسف الاقطاعي ٠٠٠» ٠

وفي رأينا فان مفتاح حل الغموض الذي ما زال يكتنف هذه الحقبة التاريخية يكمن في تفسير تشابك الاحداث الطائفية بالحركات المطلبية الشعبية وتداخلها ببعضها البعض ٠

المهم هنا انه استنادا الى هذا التفاوت الكبير في وصف احداث ١٨٤٠ ـ ١٨٦٠، نفهم لماذا توصل بعض كبار الباحثين ، ومنهم الدكتور ادمون رباط ، الى الاستنتاج المقلق الاتي حول النتائج البعيدة المدى لـ «حركة ١٨٦٠» كما يسميها هو :

« ٠٠٠ لا يزال الدروز ينظرون حتى اليوم الى هذه الحركة على انها مشابهة ، في طبيعتها ، للحركتين السابقتين (أي ١٨٤١ و ١٨٤٥) ، اي حركة ذات طبيعة مدنية بحتة وغير دينية ٠ وبالعكس فعند المسيحيين ما بقي حيا في ذاكرتهم (من حركة ١٨٦٠) هو ذكرى مجازر مرعبة أدت الى تشتيت صفوفهم في جبل لبنان وفي الشام ٠٠٠ » (المرجع السابق ، الهامش رقم ١٢ ، ص ٤٠٤)

والسؤال الذي يفرض نفسه بالحاح هنا هو : استنادا الى اية معطيات واحصاءات ومشاهدات يمكننا ان نفسر اليوم الشعـــور الباطني للدروز والمسيحيين ، او بالاحرى لاحفاد احفاد من عاشوا فترة الستينات من القرن الماضي ؟ وهل من علاقة مباشرة بين مهمة المؤرخ ومهمة الطبيب النفساني ؟



الفصل الثالث :

اطار البحث حول انتفاضة ١٩٥٨

لا شك ان دراسة احداث انتفاضة ١٩٥٨ اسهل بكثير من دراسة احداث الفترة السابقة (١٨٤٠ ــ ١٨٦٠) ، ولكن مع ذلك فان العديد من الوثائق السرية والمواقف الرسمية غير المعلنة ستبقى لسنوات طويلة مقبلة طي الكتمان حتى يحين وقت الافراج عنها او نشرها في صورة او في اخرى .

وما يهمنا في هذا الصدد هو ان دراسة ظاهرة العنف الطائفي الجماعي خلال هذه الاحداث التي لم تستمر في الواقع الا ثلاثة اشهر على الاكثر ، تبدو أيضا سهلة المنال لان العنف لا يمكن ان يكون مستترا . ويمكن حتى اليوم ، مع بعض الجهد ، استكتاب العشرات ممن تعرضوا للعنف الطائفي او عايشوه او سببوه .

واستنادا الى مراجعاتنا وتحقيقاتنا حتى الان والتي تطرقت الى بعض الاعداد المتفرقة من صحف ذلك الزمان اضافة الى تقييم أهم الكتب والمذكرات الصادرة في اللغات العربية والفرنسية والانكليزية والمنشورات الخاصة الصادرة بعد هذه الاحداث بفترة قصيرة ، فاننا توصلنا الى استنتاج اولي ــ ونشدد على تعبير «استنتاج اولي» ــ مفاده ان العنف الطائفي الجماعي خلال هذه الانتفاضة شكل الطابع العام ولكن غير السائد للعنف في حد ذاته، وهو اتخذ شكل المجازر الفردية المحدودة في الزمان والمكان بين بعض ابناء الطوائف اللبنانية ، وذلك بعكس ما توصلنا الى استنتاجه ــ وفي شكل أولي أيضا ــ بالنسبة الى احداث ١٨٤٠ ــ ١٨٦٠، عندما كان العنف الطائفي الجماعي هو الطابع العام والسائد للعنف في تلك المرحلة ، وهو اتخذ شكل المجازر الجماعية العفوية والغريزية (القائمة على اساس رد الفعل) بين بعض الطوائف اللبنانية السائدة حينها .

وهنا نتساءل : ما معنى ان يكون للعنف الطائفي الجماعي ، خلال هذه الانتفاضة طابع عام وغير سائد . والجواب عليه سيكون من خلال تشريح وتفسير ما اسميناه بـ «المجازر الفردية المحدودة في الزمان والمكان بين بعض ابناء الطوائف اللبنانية» .

ونسارع منذ الان للتأكيد على ان العنف الطائفي الجماعي خلال هـذه الاحداث كان ، في ظاهره فقط ، استمرارا للعنف الطائفي الجماعي خـلال ١٨٤٠ ـ ١٨٦٠ ، بينما كان في الواقع مختلفا تماما ، في الجوهر وليس في الشكل احيـانا ، عن عنف اواسط القرن الماضي ·

تكتسب هذه الملاحظة المنهجية كل اهميتها وابعادها في مواجهة بعض الطروحات الراهنة غير المدعمة بالدراسة المعمقة الشاملة ، والتي تقـول بـ «استمرارية» العنف الطائفي في لبنان خلال اكثر من ١٣٠ سنة او بـ «ثبات» التوتر الطائفي على مر التاريخ اللبناني الحديث (٢١) ·

والملاحظ في جميع الكتابات التي رجعنا اليها حتى الان غياب الاهتمام بوقائـع هذه الانتفاضة (العمليات العسكريـة ، العمليات الانتقامية الطائفية والاستفزازات المسلحة المختلفة ، مظاهر الوفاق الشعبي بين افراد الطوائف في مناطق البلاد ···) والاكتفاء بتصريحات الزعماء والقادة او ببيانـات الاحزاب والتجمعات والهيئات المختلفة والتعليقات الاخرى ··· وذلك ان دل على شيء فعلى اهمال لعنصـر رئيسي من عناصر تكوين التاريخ وهو عنصر الوقائع المادية والاحداث المعاشة وليس فقط مـا يقال حولها وعنها وفيها ·

في ايجاز نقول : ان العنف الطائفي الجماعي خلال انتفاضة ١٩٥٨ في لبنان فقد الكثير من زخمه العفوي الغرائزي واصبح سلاحاً سياسيا من اسلحة القوى الطائفية الداخلية والخارجية التي استخدمته افضل استخدام خـلال المرحلة الاولى من الحرب الاهلية والوطنية ١٩٧٥ ـ اوائل ١٩٧٧ ·



الفصل الرابع :

العنف الطائفي الجماعي خلال الحرب الاهلية والوطنية في لبنان
(المرحلة الاولى : ١٩٧٥ - اوائل ١٩٧٧) - (٢٢) -

استندنا في دراستنا لظاهرة العنف الطائفي الجماعي خلال تلك المرحلة الى تحليل صحف الفرقاء في النزاع اضافة الى الدوريات المستقلة الاخرى والمنشورات الحزبية وغيرها التي استطعنا تجميعها وعدد محدود من المقابلات الخاصة وشهادات المقاتلين في هذه المعركة العسكرية او تلك · وكان هدفنا هو رصد وتحليل الاحداث التي وصفت بأنها كانت ذات طابع طائفي ، ثم القيام بتشريحها تشريحا دقيقا وفق المنهج الاتي :

١) وصف الحدث كما جرى

٢) الموقع الذي جرى فيه

٣) تاريخه

٤) المهاجمون

٥) النتائج المباشرة له ·

وقسمنا البند الثاني (الموقع) الى :

- المواقع ذات الاكثرية المسلمة ·
- المواقع ذات الاكثرية المسيحية ·
- المواقع المختلطة حيث لا غلبة عددية حاسمة لهذه الطائفة او تلك ·

كما قسمنا البند الرابع (المهاجمون) الى :

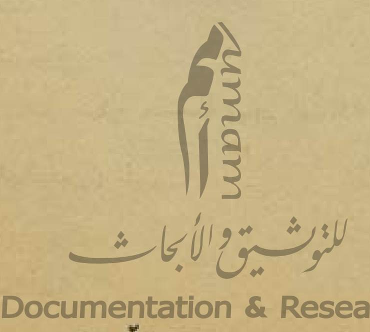
- المجموعات المسيحية المحافظة
- المجموعات الاسلامية المحافظة ·

ـ التحالف الفلسطيني ـ اللبناني اليساري ٠

فوصلنا الى رسم اللوحة البيانية الاتية :

اشارات :

ـ المواقع ذات الاكثرية المسلمة ـ ا ـ
ـ المواقع ذات الاكثرية المسيحية ـ م ـ
ـ المواقع المختلطة ـ ا م ـ
ـ المجموعات المسيحية المحافظة ـ ك ـ
ـ المجموعات الاسلامية المحافظة ـ س ـ
ـ التحالف الفلسطيني ـ اللبناني اليساري ـ ف ل ـ (٢٣) ٠



لوحة الاحداث الـ ٤٢
خلال ١٩٧٥ ـ اوائل ١٩٧٧

رقم	وصف الحادث	الموقع (وطبيعته)	التاريخ	المهاجمون	النتائج المباشرة له ـ (٢٤)
١	كمين لسيارة نقل كبيرة فيها لبنانيون وفلسطينيون	عين الرمانة (م)	١٣ـ٤ـ٧٥	ك	مقتل ٢٥ وجرح اكثر من ١٥
٢	هجوم عسكري	القاع (م)	١ـ٧ـ٧٥	س	هجرة واسعة ودمار شديد
٣	خطف سيارة نقل كبيرة فيها ركاب من طرابلس	داريا (م)	٧ـ٩ـ٧٥	ك	اغتيال ١٢ وجرح ١٥
٤	اغتيال	دير عشاش (م)	١٠ـ١١ـ٩ـ٧٥	س	اغتيال ٣ رهبانا طاعنين في السن
٥	هجوم عسكري	بيت ملات (م)	١٢ـ٩ـ٧٥	س	دمار شديد وهجرة واسعة
٦	كمين لسيارة فيها ركاب دروز	فرن الشباك (م)	١ـ١٠ـ٧٥		اغتيال ٧
٧	هجوم عسكري	تل العباس (م)	٩ـ١٠ـ٧٥	س	مقتل ١٢ وجرح اخرين ـ دمار كبير وهجرة جزئية .
٨	هجوم عسكري	كمب رحال (أ)	١٦ـ١٠ـ٧٥	ك	دمار كامل وهجرة شاملة
٩	هجوم عسكري	حي البرجاوي (أ)	٢٦ـ٢٧ـ١٠ـ٧٥	ك	دمار كامل وهجرة شاملة
١٠	اغتيال وخطف	وسط بيروت التجاري	٦ـ١٢ـ٧٥	ك	خطف واغتيال اكثر من ١٥٠ مسلما على الهوية
١١	هجوم عسكري	حي الغوارنة (أم)	١١ـ١٢ـ٧٥	ك	دمار شديد وهجرة شاملة . مقتل العديد
١٢	هجوم عسكري	بزبينا (م)	١١ـ١٢ـ٧٥	س	دمار شديد وهجرة واسعة

١٢	هجوم عسكري	سبنيه (أم)	١٦ـ١٢ـ٧٥	ك	مقتل العديد· دمار شديد وهجرة واسعة
١٤	هجوم عسكري	مخيم ضبيه (اكثرية فلسطينية مسيحية) (م)	١٤ـ١ـ٧٦	ك	مقتل العديد · دمار شديد وهجرة شاملة
١٥	هجوم عسكري	الجية (م)	١٥ـ١ـ٧٦	ف ل	دمار كبير · هجرة جزئية
١٦	هجوم عسكري	الدامور (م)	١٦ـ١ـ٧٦	ف ل	دمار كامل وهجرة شاملة
١٧	هجوم عسكري	بترزلا (م)	١٧ـ١٨ـ١ـ٧٦	س	دمار كبير وهجرة جزئية
١٨	هجوم عسكري	المسلخ والكرنتينا (أ)	١٨ـ١ـ٧٦	ك	دمار كامل وهجرة شاملة
١٩	هجوم عسكري	دير جنين (م)	١٨ـ١ـ٧٦	س	دمار كامل وهجرة شاملة
٢٠	هجوم عسكري	حي الاشهب (أ)	١ـ٢ـ٧٦	ك	دمار كامل وهجرة شاملة
٢١	هجوم عسكري	كركبا (أ)	٢ـ٢ـ٧٦	ك	دمار كامل وهجرة شاملة
٢٢	هجوم عسكري	منجز وكفرنون (م)	١٤ـ١٥ـ٢ـ٧٦	س	دمار كامل وهجرة شاملة
٢٣	هجوم عسكري	قبيات عندقت (م)	٥ـ٦ـ٣ـ٧٦	س	دمار كبير وهجرة جزئية
٢٤	هجوم عسكري	بطشاي (أ)	١٨ـ٣ـ٧٦	ك	دمار كامل وهجرة شاملة
٢٥	اغتيال	برمانا (م)	٢٧ـ٣ـ٧٦	ك	اغتيال ١٠ افراد من عائلة الحشيمي
٢٦	اغتيال	عينطورة (م)	٢٩ـ٣٠ـ٣ـ٧٦	ك	اغتيال ١٩ من سكان القرية
٢٧	هجوم عسكري	الصباحية (أ)	٣ـ٤ـ٧٦	ك	دمار كامل وهجرة شاملة
٢٨	هجوم عسكري	قبيات (م)	٢٧ـ٥ـ٧٦	س	دمار كبير وهجرة جزئية

٢٩	هجوم عسكري	راس نحاش (أ)	٢٧ـ٥ـ٧٦	ك	دمار كبير وهجرة جزئية
٣٠	هجوم عسكري	جاج (م)	٢٥ـ٢٦ـ٦ـ٧٦	ك	دمار جزئي وهجرة جزئية . مقتل ٥ .
٣١	هجوم عسكري	مخيم جسر الباشا للفلسطينيين (م)	٣٠ـ٦ـ٧٦	ك	دمار كامل وهجرة شاملة
٣٢	هجوم عسكري	شكا (م)	٥ـ٦ـ٧ـ٧٦	س.وفل	دمار جزئي ومقتل عدد من المدنيين
٣٣	هجوم عسكري	شكا والكورة (م)	٧ـ٨ـ٧ـ٧٦	ك	دمار شديد وهجرات شاملة من ١٧ قرية
٣٤	اغتيال	حامات (م)	٧ـ٧ـ٧٦	ك	اغتيال ١٠ اشخاص
٣٥	هجوم عسكري	حي البدوي (أم)	٢ـ٨ـ٧٦	ك	دمار شديد وهجرة شاملة
٣٦	هجوم عسكري	النبعة وبرج حمود (أم)	٤ـ٨ـ٧٦	ك	دمار شديد وهجرة واسعة
٣٧	هجوم عسكري	مخيم تل الزعتر وضواحيه (أ)	١٢ـ٨ـ٧٦	ك	دمار كامل وهجرة شاملة
٣٨	اغتيال	صليما وارصون (أم)	٢٩ـ٣٠ـ٩ـ٧٦	ك	اغتيال عدد من الدروز . هجرة جزئية
٣٩	هجوم عسكري	العيشية (م)	٢٠ـ١٠ـ٧٦	فل	مقتل ٤٤ مسلحا يمينيا . هجرة كبيرة
٤٠	هجوم عسكري	معاصر بيت الدين (أم)	٢٨ـ١٠ـ٧٦	ل	مقتل ١٤ واحراق ٢٠ منزلا
٤١	اغتيال	صليما (أم)	١٠ـ١١ـ٧٦	ك	اغتيال ١٢
٤٢	اغتيال	الشوف (أم)	غداة ١٦ـ٣ـ٧٧ غداة اغتيال قائد فل كمال جنبلاط	س	اغتيال اكثر من مئة مسيحي في العديد من القرى .

استنادا الى اللوحة البيانية هذه توصلنا الى الاستنتاج الاولي الاتي :

من أصل ٤٢ حادث كبير وصف بكونه طائفيا ، بدءا من حادثة عين الرمانة في ١٩٧٥/٤/١٣ وانتهاء باغتيال كمال جنبلاط في ١٩٧٧/٣/١٦ ، اثبتنا ان ١٢ حادثا لم يكن لها أي سبب او مظهر طائفي ، وان ١٣ حادثا حصل لاهداف سياسية مباشرة على رغم اتخاذها شكلا طائفيا ، وانــــه فقط ١٧ حادثا يمكن أن يكون دافعها الاساسي اسبابا طائفية ظاهرة ٠

ولم نكتف بهذه المعطيات الاولية التي حصلنا عليها ، بل تعمقنا في تحليل الـ ١٧ حادث التي قلنا انها يمكن ان يكون دافعها الاساسي اسبابا طائفية ظـاهرة ، فوجدنا ان ١١ حادثا منها يمكن تفسيرها بكونها حصلت عن سابق اصرار وتصميم في محاولة لحرف الصراع السياسي عن ساحته الحقيقية واظهاره وكانه صراع طائفي أو ديني ٠

اذن لم يبق الا ٦ حوادث كبرى يمكن ان تنعت بأنها كانت ذات طابع طائفي خلال سنتي ١٩٧٥ ـ اوائل ١٩٧٧ ٠

وفي ما يلي تفاصيل هذا الاستنتاج :

ـ الاحداث الـ ١٢ التي لم يكن لها أي سبب او مظهر طائفي :

« الارقام ١١ـ١٣ـ١٤ـ٢٦ـ٣٠ـ٣١ـ٣٢ـ٣٣ـ٣٤ـ٣٥ـ٣٩ـ٤١ » ٠

ـ الاحداث الـ ١٣ التي حصلت لأهداف سياسية مباشـــرة على رغم اتخاذها شكلا طائفيا :

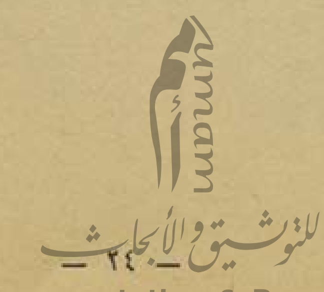
« الارقام ١ـ٨ـ٩ـ١٥ـ١٦ـ١٨ـ٢٠ـ٢١ـ٢٤ـ٢٧ـ٣٦ـ٣٧ـ٤٠ » ٠

ـ الاحداث الـــ ١١ التي يمكن تفسيرها بكونها حصلت عن سابق اصرار وتصميم في محاولة لحرف الصراع السياسي عن ساحته الحقيقية واظهاره وكانه صراع طائفي او ديني :

« الارقام ٢ـ٣ـ٤ـ٥ـ٧ـ١٢ـ١٧ـ١٩ـ٢٢ـ٢٣ـ٢٨ » ٠

ـ الاحداث الـ ٦ التي يمكن ان تنعت بأنها كانت ذات طابع طائفي :

« الارقام ٦ـ١٠ـ٢٥ـ٢٩ـ٣٨ـ٤٢ » ٠



ملاحظات ختامية :

التصدي العلماني للعنف الطائفي

ان التوجه الجدي لمناقشة هذا الطرح الجديد للمسالة الطائفية في لبنان لا بد وان يفتح آفاقا واسعة امام الباحثين والمؤرخين العلمانيين من اجل امتلاك سلاحا دعائيا فاعلا في صراعهم الفكري والاعلامي ضد الطائفيين على انواعهم ·

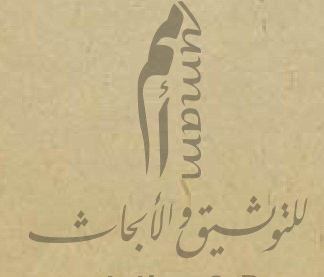
ففي وجه الدينامية الداخلية للقوى الطائفية لا بد من انتاج دينامية داخلية لدى القوى العلمانية تكون اكثر فعالية واكثر جذرية ·

اثبتنا في مدخل دراستنا هذا ــ ولو في شكل اولي ــ ان الفرصة مؤاتية اليوم قبل الغد لمحاربة الطائفية بالعلمانية مستفيدين من دروس الاخفاقات التي واجهها رجال النهضة في دعوتهم العلمانية الاولى في اواسط واواخر القرن الماضي ·

ان هذه الفرصة الثانية اليوم امام القوى العلمانية ربما تكون الاخيرة قبل ان تترسخ تجزئة العالم العربي والشرق الاوسط عموما في دويلات طائفية ومذهبية ودينية متصارعة في ما بينها تحت اشراف الدولة العنصرية الصهيونية في فلسطين ·

اثبت الواقع قبل وبعد المعالجة النظرية له ان الطائفية هي اليوم في لبنان في نزاعها الاخير ولن تسقط ابدا لوحدها ومن تلقاء نفسها · فلنوجه اليها كل الاسلحة المتوفرة لدينا لتحطيمها مرة والى الابد ·




umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

هوامش البحث :

(١) ان تجاهل الجانب الميداني في تحليل الظاهرة الطائفية في لبنان أدى الى استنتاجات نظرية أقل ما يقال عنها انها تساهم في ترسيخ الايديولوجية الطائفية بل وتعطيها زخما متجددا . من هذه المقولات ، نذكر خصوصا مقولة «المارونية السياسية» التي هي في الواقع تطبيقا لما سمي ، منذ اواسط ١٩٧٣ ، بـ «الطائفة ـ الطبقة» . وكان «مركز السفير للمعلومات» في بيروت هو اول من نشر تنظيرا متكاملا حول الموضوع في العام ١٩٧٧ في كراس بعنوان « المارونية السياسية ـ سيرة ذاتية » .

(٢) اوضح الاستاذ عصام خليفة في محاضرة له ، ما زالت غير مطبوعة حتى اليوم ، القاها في ١١ـ٤ـ١٩٧٩ من على منبر «الديمقراطيين العلمانيين» في بيروت ان «التاريخ الطائفي يعود الى القرن الخامس عشر ميلادي خصوصا ..» ، فهل ان هذا الاتجاه الفكري في تحليل مجتمعات الشرق العربي مهد ، في شكل او في آخر ، لهذه الصدامات الطائفية الجماعية منذ اواسط القرن الماضي؟ سؤال يستحق المناقشة .

(٣) سليمان تقي الدين : «التطور التاريخي للمشكلة اللبنانية ١٩٢٠ـ١٩٧٠» (مقدمات الحرب الاهلية) . منشورات دار ابن خلدون ـ بيروت . الطبعة الاولى ١ـ١ـ١٩٧٧ ..

(٤) يوجز سليمان تقي الدين (راجع المصدر السابق) اسباب اعتماده العام ١٩٢٠ منطلق دراسته هذه في ما يلي :

ـ « اولا : عام ١٩٢٠ (لبنان الكبير) هو تاريخ مؤتمر سان ريمو وتنفيذ اتفاق سايكس ـ بيكو (١٩١٦) وخضوع المنطقة العربية للسيطرة الاستعمارية الجديدة الفرنسية ـ الانكليزية ، وتجزئة المنطقة الى كيانات سياسية لم تعرف في تاريخها من قبل ...

« ... كما ان العام ١٩٢٠ هو تاريخ بداية ربع قرن من السيطرة الاستعمارية الفرنسية على لبنان (الانتداب) فرضت على هذا البلد ـ بعدما فرضت حدوده وكيانه ـ نمطا من التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي ما زال يفعل فعله حتى الآن ... » .

ـ « ثانيا : ان العام ١٩٢٠ هو تاريخ قيام دولة لبنان الكبير بضم والحاق عدد من المناطق (ولاية بيروت والاقضية المسلوخة عن سوريا) الى جبل المتصرفية بحجة اعادة حدود لبنان التاريخية الطبيعية ، هذه الحدود التي لم تتعد يوما نهر الميزاب شمالا ونهر وادي الشقيف جنوبا ومعلقة زحلة شرقا ونهر بيروت وفرن الشباك غربا ... بهذه الحدود الحالية المستحدثة العام ١٩٢٠ تتكون مجموعة من التناقضات على الاصعدة المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ... » .

ـ « ثالثا : لان العام ١٩٢٠ هو تاريخ نشوء «الدولة» بمعنى السلطة والجهاز السياسي . ولم تنشأ هذه الدولة بالتطور التلقائي الطبيعي للمجتمع اللبناني ، فهي من حيث شكلها ونطاقها ،

مفروضة من خارج بفعل السيطرة الاستعمارية وبقوة الحراب ... » .

- « رابعا : ينطوي كيان لبنان الكبير على تعددية دينية طائفية سياسية ... هذه التيارات الدينية الطائفية ستكتب عبر التطور التاريخي المزيد من خصائص التمايز السياسي بوجه خاص ، عدا تمايزاتها الثقافية والاجتماعية . وسيبلغ تطورها هذا ذروته في دائرة الكيان اللبناني حيث تتحول هذه «الطوائف» الى «مؤسسات سياسية اجتماعية » ذات كيانات ذاتية مستقلة ... » (ص ١٠ - ١٦) .

(٥) د. عبدالله حنا : « القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان ١٨٢٠ - ١٩٢٠ » - القسم الاول - منشورات دار الفارابي - بيروت ١٩٧٥ .

(٦) عبد العزيز محمد عوض : «الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ - ١٩١٤» (اطروحة ماجستير في التاريخ من جامعة عين شمس) . منشورات دار المعارف ، مصر ١٩٦٩ .

(٧) يكشف د. وضاح شرارة في كتابه : «في اصول لبنان الطائفي - خط اليمين الجماهيري» (دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٥) ، استنادا الى مقال مهم لمارسيل ايمريت بعنوان : «الازمة السورية والتوسع الاقتصادي الفرنسي العام ١٨٦٠ » (نشر في «المجلة التاريخية» الفرنسية ، الجزء ٢٠٧/ ١٩٥٢ ، ص ٢١٣ - ٢٢١) حقيقة علاقة «مجازر الستينات» بمسألة شق قناة السويس . فيكتب د. شرارة :

« ... في مثل هذه الظروف التي اخذت تشهد منذ ١٨٤١ - ١٨٤٢ اتساع الصراع الداخلي وبالتالي اتساع التدخل الخارجي ، كفى ان تخرج مشكلة بضخامة مشكلة قناة السويس حتى ينفجر الوضع في جبل لبنان ، وذلك تبعا للخطوط التي رسمتها كل المعطيات المعقدة التي تشكلت «المسألة الشرقية» منها . فبعدما كان السلطان العثماني وافق على حفر قناة السويس باشراف فرنسي ، عاد وعدل عن موقفه الاول تحت ضغط انكليزي واضح المبررات . وبلغ من خطورة الموقف ان توقفت الاعمال في القناة . ازاء ذلك لجأ نابليون الثالث الى اسلوب مجرب : اثارة صعوبات في وجه تركيا ، لا مخرج لها منها الا بالتعاون مع فرنسا ، أي التخلي عن عرقلة مشروع السويس . فما كان من الحكم الفرنسي الا ان بث الحياة في مشروع كان أعد له منذ وقت طويل لكنه وضع على الرف ، وهو تنصيب الامير عبد القادر الجزائري ملكا على سوريا ، تشمل الهلال الخصيب ، وتشكل دولة واحدة تعزل تركيا عن مصر . وكانت الاضطرابات الطائفية في لبنان ، بأسسها الداخلية المستقلة ، مساهمة في تجسيد المشروع الفرنسي : فاستطاعت فرنسا ان تبرز مقدرتها على استخدام عنصر طيع من داخل السلطنة وعلى دفعه الى توسيع صدام يرقى الى قرابة عشرين سنة . كما استطاعت ان تطرح بصورة اولية مسألة وحدة الامبراطورية العثمانية وتفتح ثغرة في ما اسماه ماركس «النقطة الحساسة» . وفي شباط / فبراير ١٨٦١ رضخ الباب العالي ، واستعيدت اعمال الحفر في القناة . وعندما دخلت قوات الجنرال الفرنسي بوفور دوبول الى لبنان ، وكانت ازمة الحرير في مصانع ليون في اوجها ، كان همه الاول ان يعيد اللبنانيين الى العمل » ... » . (ص ٣٦ - ٣٧) .

ان هذا الاتجاه في النظر الى علاقة مشكلة قناة السويس باحداث لبنان العام ١٨٦٠ يناقض، مثلا ، وجهة نظر المستشرق الالماني كارل بروكلمان الذي يعتبر ان مشكلة قناة السويس « لم تكن هي التي قررت مصير الشرق في السنوات التالية ، وانما الذي قرره مسألة اخرى كان الباب العالي يعتبرها تافهة ، ولكنها قدمت الى الدول الاوروبية ذريعة لفرض سيطرتها على الشرق ، اعني مسألة الاماكن المقدسة الشهيرة ... » ، (راجع كتابه : « تاريخ الشعوب الاسلامية ، الجزء الرابع : الاسلام في القرن التاسع عشر » نقله الى العربية د. نبيه امين فارس ومنير البعلبكي -

منشورات دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٦١ - ص ٤٠) .

وفي هذا الصدد نشير الى نص كتبه كارل ماركس في جريدة «نيويورك ديلي تريبيون » (١١-٨-١٨٦٠) يركز فيه في وضوح على ان «الفظائع التي ترتكبها القبائل العاصية» في جبل لبنان مفتعلة من قبل الدوائر الحاكمة يومها في روسيا القيصرية وفرنسا . (نشرت مجلة «الحرية» اللبنانية نص المقال مترجما الى العربية بتاريخ ٢٥-١٠-١٩٧١) .

(٨) لعل من المفيد الاشارة هنا الى الملاحظة المنهجية التي أوردها الاديب اللبناني رئيف خوري في كتابه الكلاسيكي المعروف : «الفكر العربي الحديث : اثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي» (منشورات دار المكشوف ، بيروت ١٩٤٣) ، حيث كتب : « ... يلاحظ ان كلمة ثورة ، بمعناه الحديث ، مستجدة في اللغة العربية . اما التسمية القديمة فهي الفتنة ، وقد تركها مفكرونا الحديثون لتسمية النزاعات الداخلية المسلحة التي يصطدم فيها فريق بفريق سفها وتعصبا وهوسا ، عن غير مبدأ ولا فكرة ولا طلب أصلاح او حق ... (ص ١١٦) .

(٩) سنحاول قدر الامكان اتباع الترتيب التاريخي في ذكر اهم النعوت لاحداث ١٨٤٠-١٨٦٠، لما لذلك من فائدة منهجية اكيدة لاحقا في تحليل الدوافع الموضوعية - قبل الذاتية منها - التي دفعت الكاتب او المؤرخ او الراوي الى اطلاق هذه الصفة او تلك عليها .

(١٠) نشرت النصوص الكاملة لاعداد جريدته الـ ١١ في مجلة «فكر» الصادرة في بيروت ، عدد ايلول / سبتمبر - تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٨ الصفحات ١٨١-٢٣٢ .

وكان المعلم البستاني يسمي كل عدد من هذه الاعداد بـ «الوطنية» . والمقطع المشار اليه هنا مأخوذ من «الوطنية الخامسة» ، وهو استعمل ايضا تعابير مثل «الفتنة» و «الخربة» .

(١١) وهو مؤلف كتاب «الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية» نقلا عن الراوي يوسف خطار ابو شقرا . تحرى نصه وعلق حواشيه وملاحقه ووضع مقدمته وفهارسه عارف ابو شقرا . صدر في لبنان العام ١٩٥٢ عن مطبعة الاتحاد .

(١٢) د. ادمون رباط : «التكوين التاريخي للبنان السياسي والدستوري - محاولة لفهم تركيبه» (بالفرنسية) - منشورات الجامعة اللبنانية - ١٩٧٣ .

(١٣) جوبلان (بولس نجيم) : «مسالة لبنان» (بالفرنسية) - الطبعة الاولى ، باريس ١٩٠٨ - استندنا هنا الى الطبعة الثانية (جونيه - لبنان ١٩٦١) - ص ٢٤٩ .

(١٤) «مذكرات رستم باز» ، تحقيق وتقديم فؤاد افرام البستاني ، منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٥٥ .

(١٥) د. فيليب حتي «لبنان في التاريخ» ، تعريب د. فريحه وراجعه نقولا زيادة . منشورات دار الثقافة ، بيروت ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر في نيويورك ١٩٥٩ .

(١٦) د. كمال سليمان الصليبي : «تاريخ لبنان الحديث» ، الترجمة العربية الصادرة عن دار «النهار للنشر في بيروت (١٩٦٧) لكتابه الصادر اصلا بالانكليزية عن دار «ويدانفلد ونيوكولسون» (١٩٦٥) . اعيد طبع النسخة العربية اكثر من مرة .

(١٧) وليام بولياك : «فتح جنوب لبنان ١٧٨٨-١٨٤٠» (دراسة في تاثير الغرب على منطقة

الشرق الاوسط) (بالانكليزية) • منشورات جامعة هارفارد بمساهمة من مؤسسة فورد • ١٩٦٣ • في خصوص المقطع المذكور راجع الصفحة ٢١٩ •

(١٨) لوتسكي : «تاريخ الاقطار العربية الحديث» ، الترجمة العربية صادرة عن دار التقدم، موسكو ١٩٧١ •

(١٩) ٠٦ سميليانسكايا : «الحركات الفلاحية في لبنان : النصف الاول من القرن التاسع عشر» ، تعريب عدنان جاموس ، راجعه وقدم له سالم يوسف • منشورات دار الجماهير في دمشق ودار الفارابي في بيروت • ١٩٧٢ •

(٢٠) علمنا مؤخرا بما انجزه الاستاذ نواف سلام لشهادة الدكتوراه ـ حلقة ثالثة في التاريخ من جامعة باريس ـ السوربون في موضوع : «انتفاضة ١٩٥٨ في لبنان» والتي تقع في ٢٨٢٠ صفحة من القطع الكبير وتضمنت ١٥٠٠ صفحة من الوثائق المتعلقة بكل ما يخص الانتفاضة في ذاتها محليا وعربيا ودوليا • وهو اعتبر ان الانتفاضة ابتدات بحادثة اغتيال الصحافي نسيب المتني (٨ـ٥ـ١٩٥٨) وانتهت بمغادرة آخر وحدة من الاسطول السادس الاميركي الاراضي اللبنانية (٢٥ـ١٠ـ١٩٥٨) •

(٢١) مثلا ، هل من العلمية في شيء ان نكتب ببساطة ، كما فعل الاستاذ كميل داغر في محاضرته في اتحاد الكتاب اللبنانيين بعنوان : «رؤية ثـانية للمشكلة الطائفية» (نشرت ضمن كتاب الاتحاد الصادر بعنوان «الثقافة الوطنية في لبنان على خط المواجهة» دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٩) ان «الحرب الاهلية الاخيرة (١٩٧٥ وما بعد) لم تكن الوحيدة في تاريخ الانفجارات داخل المجتمع اللبناني التي تتخذ طابع الاقتتال الطائفي ، بل سبقتها منذ اربعينات القرن التاسع عشر ، مرورا بحرب ١٨٦٠ ، ووصولا الى صدام عام ١٩٥٨ مجموعة من الحروب الاهلية المشابهة من حيث شكلها الطائفي رغم التفاوت والاختلاف في الاسباب والظروف •••» (ص ١١٣) ؟

اين وكيف برهن على هذه «الحروب الاهلية» ••• مشابهة من حيث شكلها الطائفي رغم التفاوت والاختلاف في الاسباب والظروف ، ؟

كان من الطبيعي ان يسير منطق المحاضر الى آخره فيعلن :

« ••• ان الواقع هذا الذي دمغ مختلف حالات الانفجار القصوى منذ ١٣٠ عاما الى الان بميسم الطائفية يدفعنا الى التساؤل جديا حول مدى جبرية هذا الشكل من الصراع • اكثر من ذلك، مدى جبرية تحول الشكل هذا الى جوهر ، ومن او ما المسؤول عن ذلك• الا يمكن الخروج من دوامة الحروب الطائفية الى صراعات من نوع آخر تؤدي بالمجتمع اللبناني الى جادة التقدم والحداثة ، الى الخلاص من الارث الطويل المضني وترسباته الواعية واللاواعية » • (ص ١١٣) ؟

ضمن هذا السياق نفسه نعجب للسؤال التالي الذي يطرحه د• وضاح شرارة في كتابه المذكور سابقا (راجع الهامش رقم ٧) : «كيف قيض للشكل الطائفي ان يستقر ويستمر» (ص ١٧) ؟ كان من الافضل استبدال «كيف» بـ «هل» •

(٢٢) ان الاحداث التاريخية التي ما زالت جارية على الساحة اللبنانية في شكل مكثف ومتسارع منذ اوائل ١٩٧٥ يمكن تسميتها بـ «الحرب الاهلية والوطنية» : الحرب الاهلية بين طرفين لبنانيين رئيسيين متصارعين ، متداخلة مع الحرب الوطنية بين مقاومة فلسطينية منطلقة

في هذه المرحلة اساسا من الساحة اللبنانية ضد اعدائها من الصهاينة والقوى الداعمة لها خارجيا وداخليا ٠

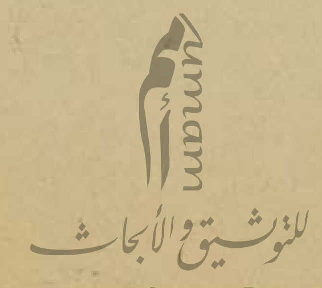
(٢٣) اثناء المناقشات التي دارت حول هذه النقطة طرح علينا السؤال التالي : هل خلا «التحالف الفلسطيني – اللبناني اليساري» من الشلل الطائفية والممارسة الطائفية ؟

سؤال وجيه للغاية نترك لاحد قادة الحركة الوطنية اللبنانية ، وهو المحامي عصام نعمان ، عضو اللجنة التنفيذية للمجلس السياسي المركزي للحركة واحد ابرز مؤسسيه ، مجال وضع أسس الرد عليه ٠ يقول المحامي نعمان في احدى جلسات «المؤتمر حول العلمنة والهوية العربية» (بيروت ٢٠ـ ١٩٧٦/٢/٢١) :

« ٠٠٠ انا لا انكر ان ثمة ممارسات طائفية عنيفة وان بعض المحسوبين ظاهريا على اليسار قد اقترف جرائما ، هذا شيء والقول بأن اليسار ، بمعنى قيادات اليسار، بوعي وبارادة حرة اقدم على القيام بممارسات طائفية ٠ هذا شيء في الواقع غير صحيح وغير مقبول ٠ وان كان البعض المحسوبين ظاهريا على اليسار، وانا لا اسميهم يساريين ربما عسراويين ، اقدموا على ممارسات طائفية ، فلعل ذلك منشؤه اولا ضعف الثقافة النظرية والايديولوجية ، وثانيا المقولة الشائعة بأن المسيحيين هم الاكثر غنى والمسلمين هم الاكثر فقرا ٠ فبالتالي الهجوم على المؤسسات المسيحية يعني ، بمعنى او بآخر ، الهجوم على مؤسسات رأسمالية او بورجوازية الخ ٠ انا لا اعتقد ان قيادات اليسار اقدمت ، بوعي ومن ضمن خطة ، على التنكيل بالمسيحيين على انهم بجملتهم يمينيين ٠٠٠ » (نشرت وقائع هذا المؤتمر « مؤسسة الدراسات والابحاث اللبنانية » في كتاب بعنوان « لبنان الاخر » ١٩٧٦ – حول المقطع المذكور راجع الصفحتين ٩٩ و ١٠٠) ٠

(٢٤) هنا لا بد من ايضاح ضروري وهو انه يجب عدم الاكتفاء بتحليل النتائج المباشرة للحادث دون التطرق الى نتائجه غير المباشرة على المديين المتوسط والبعيد ٠ لكننا سنكتفي في هذا المجال بالنتائج المباشرة والفورية لكل حادث ، موضوع الدراسة ، بسبب اختصار بحثنا ، حتى الان ، على المرحلة الاولى من الحرب الاهلية والوطنية في لبنان اي الفترة الممتدة من اوائل ١٩٧٥ وحتى اوائل ١٩٧٧ ٠




umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research


umam
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

لماذا هذه السلسلة ؟

ان الشعب الذي لا يعرف ماضيه على حقيقته لا يستطيع ان يبني مصيره الحاضر ومستقبله على قاعدة مستقلة ومتأصلة . ولا يزال ماضينا اقرب الى حكايات الرواة عن بطولات فردية خارقة . والقليل من المتخصصين لا يقرأ تاريخنا الا عبر قنوات الكتب الغربية والاستشراقية عموماً . لذا ارتأينا اصدار هذه السلسلة تحت عنوان « دفاتر التاريخ » اذ لا ندعي اننا سنعيد كتابة التاريخ بحلة جديدة تضاف الى ما سبق وكتب ، بل نطمح الى اثارة اسئلة منهجية ووقائعية اكثر من تقديم اجوبة جاهزة. ليست هذه السلسلة الا خطوة تمهيدية اولى تطمح الى عقلنة تاريخنا والبحث في جذور مشاكلنا وقضايانا الراهنة ونفض الغبار عن تاريخ لا يزال مجهولا او محرفاً ، وذلك بهدف ايصاله الى اوسع الفئات .

هذه السلسلة هي بمثابة منبر لكل مساهمة أو رأي يسعى الى اثارة وتعميق الوعي التاريخي الموضوعي العلمي .

« دار المصير »



السعر : ٢٥٠ ق. ل.